بعد الاحسان لوم وشوم انتهى والاحتياط في جميع الامور بحيث لا ياخذ الا بالاجود فليس
على الشيطان شيء اشد من عالم يتكلم بعلم ويسكت بحلم قال ابرهيم بن ادهم ليس شيء اشد على
الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بحلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد على من كلامه ذكره
في الاحياء ولا افضل عند الله تع من علم يزينه من التزيين حلم والحلم بالكسر الاناة ويلزمه ترك
الحدة وتحمل الشدة قال بعض المتكلمين الحلم زينة الرجل والعلم غنيته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم كذا في الخالصة وان قيام العالم بفتح اللام بكل عليم عامل وحليم متان
ومتحمل قال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله كذا في الاحياء وحكيم متقن
للامور وعالم صاحب الحكمة يعلم الاشياء على ما هي عليه ويعمل على ما لم يعلم وهو اي العليم الموصوف
بالحلم والحكمة وهو اعز من الابلق العقوق وفي الصحاح والعقاق الحوامل من كل حافر وهو جمع
عقوق مثل قلص وقلاص وسلب وسلاب والعقاب بالفتح الحمل يقال اظهرت الاتان عقاقها
وكذلك العق وقولهم طلب الابلق العقوق مثل لما لا يكون وذلك ان الابلق ذكر ولا يكون
الذكر حاملا انتهى كلامه وحكي ان رجلا سال سفيان بن عيينه رحمه الله يا ابا محمد اني اغبط ان ارى
عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد في زماننا كذا في الخالصة ويقدم في التعليم الاهم من العلوم
فالاهم اي ثم بعد ذلك فيقدم اهم البواقي وهكذا وياخذ في كل علم احسنه وارشده
قال في ملهم الصواب ينبغي لطالب العلم ان يختار من كل علم احسنه كما قيل شعر

ماحوى العلم جميعا احد ... لا ولو مارسه الف سنه
انما العلم بعيد غوره ... فخذوا من كل علم احسنه

ثم ما يحتاج اليه في امر دينه في الحال وما يحتاج اليه في المآل ويقدم على التوحيد ويعرف الله
تعالى بالدليل فان ايمان المقلد وان كان صحيحا عندنا لكن يكون اثما بترك الاستدلال ويختار العتيق
دون المحدثات قالوا عليكم بالعتيق واياكم والمحدثات واياك ان تشتغل بالجدال الذي ظهر
بعد انقراض الاكابر من العلماء فانه يبعد عن الفقه ويضيع العمر ويورث الوحشة والعداوة
وهو من اشراط الساعة وارتفاع العلم والفقه انتهى كلامه وقال الغزالي في الاحياء في بيان
اداب المتعلم من وظائف المتعلم ان لا يدع فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعها الا وينظر نظرا
يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه فاستوفاه
وتطرف من البقية فان العلوم متفاوتة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك

الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال الله تع واذ لم يهتدوا
به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر • ومن يك ذا فم مر مريضا • يجد مرا به الماء الزلالا •
فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تع او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها
منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور
لكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الاخرة اذا قصد به وجه الله تع ثم ان العمر اذا كان
لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمة ويصرف
جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسمي
المعاملة والمكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تع ولست اعني به الاعتقاد الذي
تلقنه العوام وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك من مراوغات
الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تع في قلب عبد طهر بالمجاهدة
باطنه عن الخبائث وينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر الصديق رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان
العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندي ان ما يعتقده العامي
ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز
عنه عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر
في صدره وكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين فلا
يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله تع وهو بحر
لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد
روي انه روي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد احدهما رقعة
وضعها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تع وتعلم انه مسبب
الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان اعرف الله تع اشرب واظما حتى اذا عرفته
رويت بلا شرب الى هنا من كلام الاحياء ويقتبس ان يستفيد قال في مختار الصحاح القبس
بفتحتين شعلة من نار وكذا المقباس وقبس منه نارا من باب ضرب فاقبسه اي
اعطاه منه قبسا واقتبس عنه ايضا نارا وعلما اي استفاده من كل من حظا كافيا اي قدر
الحاجة لا زائدا منها ولا ناقصا عنها وقد قيل من طلب الله بالكلام وحده تزندق اي
يصير زنديقا وهو على ما ذكر في شرح المقاصد وشفاء القاضي عياض شخص مع اعترافه بنبوة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)